فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

المنار ١٣١٥

في الحكمة من بقاء وحي يهدي وكتاب يقرأ بعد انقطاع الوحي بخاتم الرسل عليه الصلاة والسلام

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاحد ١٦ شوال سنة ١٣١٩ — ٢٦ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠٢)

« باب المقالات »

حياة امة بعد موتها

« جمعية اليهود الصهيونية »

أفلمْ يسيرُوا فى الأَرض فتكون لهمْ قلوبٌ يعقلونَ بها أو آذانٌ يسمعونَ بها فانها لاَ تعمَى الأبصارُ ولكنْ تعمَى القلوبُ التي فى الصدُورِ

كنا نتحدث فى ايام العيد مع صاحب الدولة رياض باشا فى حال المسلمين وما يحتاجونه من الاصلاح فجاء ذكر اليهود عند ذكر ركن كل اصلاح وتقدم وهو (المال) وذكرنا الجمعية الصهيونية ومساعيها فى اعادة السلطة والملك الى شعب اسرائيل فقال الوزير انه اطلع فى هذه الأيام على كتاب لبعض الأوربيين المحادّين لليهود ألّفه صاحبه للوقيعة والازراء بهم فكان كله تعظيماً فى الحقيقة وتبجيلاً . ومما فيه ان ازمة المنافع فى باريس او فرنسا بأيدى اليهود . وقد رغب الى بعض افاضل المصريين بتعريبه لا ليستاء الاسرائيليون ولكن ليعتبر المسلمون

أنّى يعتبر المسلمون بأحوال البشر ، وما فى الأرض من الآيات والعبر ، وعلى ابصارهم غشاوة وفى آذانهم وقر وقلوبهم فى أكنةٍ لا يصل اليها وعظ الواعظين ، ولا تنبيه المنبهين . فالعبرة بعيدة عنهم ما دامت هذه الحوائل والموانع بينهم وبينها وسنذيه عليها فى هذه المقالة وان كنا فصلنا القول فيها من قبل فان أكثر قومنا ينسون النافع ويحتاجون الى التكرار

لو كنا نسمع اخبار الامم سماع تدبّر ، او نعقل الحوادث بحكمة وتبصّر ، لما كنا نضرب المثل الى اليوم بذل اليهود وضعفهم ونخشى ان نكون فى يوم من الايام مثلهم ونحن لا نعرف انفسنا ولا نعرفهم . لا نعرف من فضلنا عليهم فى الحياة الاجتماعية الا ان بعض بلادنا لا تزال تحت رياسة امرآء منا وانهم محرومون من السلطة . ويا ليتنا كنا نبصر الطريق التي تسير فيه امراؤنا بتلك البقايا من البلاد لنعلم أهو طريق سلفنا العدول الصالحين الذين ورثوا الأرض لانهم صالحون لعمارتها ؛ أم هو طريق خلفهم المستبدين الجائرين الذين اضاعوا أكثر الممالك الاسلامية حتى لم يبق لنا منها الا ذلك البعض الذى أعمانا الغرور به على ما نشاهد من استبداد الاجانب علينا فيه .

ثم يا ليتنا كنا نبصر الطريق الذي يسير اليهود فيه الآن لنعلم هل هو طريق سلفهم الذين كانوا مغرورين بالنسب الشريف (سلالة الانبيآء) واللقب الضخم (شعب الله — أبنآء الله واحباؤه) والاعتماد على بركة التوراة فى الاستفتاح على الأمم والانتصار على المناصبين من غير عمل بما ترشد اليه من الاتحاد والاعتصام ؛ أم هو طريق آخر اعتبروا فيه بسنن الله فى خلقه فحافظوا على لغتهم وجامعتهم الملية مع تشتتهم فى جميع اقطار

الأرض وتقرب بعضهم من بعض بالتعاضد والتعاون واخذوا بجميع علوم العصر وفنونه النافعة وبرعوا فى جمع المال الذى هو اساس القوة والعزة فى هذا العصر ؛ أليس هذا هو الطريق الذي استقام عليه الاسرائيليون فى هذا العصر فنبتت شوكتهم المخضودة ، وعادت عزتهم المفقودة ، ولا ولا ينقصهم ان يكونوا اعظم امة على سطح الأرض الا الملك وهم يسعون اليه من طريقه الطبيعي . وان اليهودي الواحد اليوم اعز من ملك من ملوك الشرق فان أية دولة أوربية تهدد اعظم سلطان شرقي بالقول والفعل وتحمله بالقوة على ان يهين نفسه وقد حاولت دولة فرنسا ان تهين رجلاً يهودياً فقامت عليها القيامة وكادت تشب فيها الحروب الداخلية المجتاحة لولا ان تداركتها وذلك فى مسئلة دريفوس التي لم ينسها احد ممن عرفها

لليهود جمعيات ملية كثيرة — ولا نجاح للأمم الا بالجمعيات — ولم نسمع بذكر الجمعية الصهيونية الا من نحو خمس سنين وهي جمعية سياسية غرضها الاستيلاء على البلاد المقدسة لتكون مقر ملكهم وعرش سلطانهم وقد جاء ذكر هذه الجمعية فى العدد السادس من منار السنة الاولى (ص ٤٤ و ٤٥) وفيه ان حركة هذه الجمعية ظهرت فجأة فى النمسا والمانيا وانكلترا واميركا . ولم تكن تظهر فى اول الامر طلب الملك وانما كانت تتظاهر بحب نقل فقراء اليهود المهاجرين والمخرجين (المنفيين) الى بلاد فلسطين ، ليعمروها ويعيشوا فى ظل السلطان آمنين ، وكأنها وثقت بقوتها الآن ، فخرجت من مضيق الكتمان ، وقد بعثت منذ اشهر المستر اسرائيل زنغويل من لندره الى الاستانة للمساومة فى شراء القدس الشريف ويقال انه لقي من الحضرة السلطانية التفاتاً وانبساطاً . وبعد رجوعه خطب

فى الجمعية فقال ما مثاله بالعربية :

« ان اليهود سيرجعون بكثرة الى فلسطين مملكتهم القديمة التي لا يمكن ان تقرب شمسها من سماء افكارهم وسيبلغ عددهم فيها سنة ٢٠٠٠ أي آخر القرن العشرين المسيحي مائتي ألف ألف (مليونين) نفس . وسيجعلون تلك الأراضي جنات عالية قطوفها دانية وينشؤن فيها حدائق ذات بهجة ويصلون اطرافها وارجاءها بالسكك الحديدية ويقيمون فيها حكومة منتظمة خاصة بها تكون نموذج الكمال ، لجميع الأمم والاجيال ، فيكون شعب اسرائيل مناراً على جبل صهيون تهتدي به الامم كلها الى المدنية الفضلى فى الأحوال الاجتماعية والسياسية والقضائية والأدبية والزراعية وسائر الشؤن المعاشية . ومن قوانينه تتعلم دول أخرى طرق الرشاد فى تدبير الممالك كما تتعلم الامم والشعوب من نظامه الاجتماعي حقيقة المدنية ، ومن سيادته الروحية معنى الديانة الحقيقية ، »

قال : « وبالجملة فانى معتقد بنجاح الآمال فى امتداد ملة اليهود بعد رجوعهم الى فلسطين ويمكن ان يقال انه منذ زمن المسيح الى هذا العهد لم يطلع العالم على شيء من حياة الاسرائيليين واعمالهم . وقد كانوا مضطهدين من المسيحيين والوثنيين فى كل مملكة فكان ذلك هو السبب فى بقائهم بما قرّب بعضهم من بعض وألف بين قلوبهم ومنعهم من مخالطة غيرهم والتزوج ممن سواهم »

ثم قال : « وغاية مايرمى اليه اليهود هو جمع النقود الكافية لابتياع أرض فلسطين من السلطان الذي ستكون الحركة الكبرى تحت سيادته وقد بلغ ماجمع الى الآن ألف الف ريال اميركانى (مليون) وفى كل مدينة

وكل قرية يتبوءها اليهود فى مشارق الارض ومغاربها فرع من الجمعية الصهيونية يجمع المال لهذا الغرض . وكل ماجمع فهو من الفقراء لان الاغنياء مشغولون بمنافعهم الشخصية عن اعطاء هذا المشروع حقه من العناية والاهتمام . على ان تهاون الاغنياء لايخمد نار الحمية الملية فى نفوس الفقراء . يدل على ذلك جمع النقود بسرعة من كل صوب وانهمار صيبها من كل افق ويرجى ان نوفق فى بضع سنين لجمع مقدار من النقود يكفى لبلوغ الغاية ونيل الامنية » الخ

أظن ان الخطيب مبالغ فى نسبة اغنياء اليهود الى عدم العناية بمساعدة الجمعية الصهيونية ولعل الحكمة فى ذلك تنشيط الفقراء والمتوسطين على البذل بقدر الامكان ثم يكون الاغنياء هم الذين يتمون العمل اتماماً . والا فمن ينكر كرم البارون هرش والانفاق من سعته على شراء المستعمرات لقومه . ومتى بسط مثل هذا الغني السخيّ يده لمساعدة هذه الجمعية فقل قد قرب مجيء ذلك اليوم العظيم

جمع فقراء اليهود ألف الف ريال لهذا العمل ولديهم مزيد وهذا بعد ماعمموا المعارف فى طائفتهم فهل ينشط المسلمون فى مصر وهم يقربون من عدد يهود الارض لمساعدة الجمعية الخيرية بجمع ألف ألف قرش على انشاء مدرسة كلية فى القطر المصرى ؟ ؟

هذا — ومن تصريح الجمعية الصهيونية بمقاصدها السياسية على رؤس الاشهاد الصحيفة العبرانية الفرنساوية التى نشرها فرع الاسكندرية فى غرة الشهر لدعوة اليهود الى سماع الخطب والمناقشات ليلاً فى قاعة الملهى العباسى وقد افتتحت بما معناه بالعربية الصحيحة :

« دعوة صهيونية ليهود الاسكندرية »

« ايها الاخوان : ان شعبنا مابرح يعلل النفس بان تكون له أمة (دولة) ولم يتوان فى السعى ولن يتوانى مهما عارضته الصوارف ، وناهضته الصوادف ، وقد مضى على اولئك الذين دافعوا الدفاع الاخير عن بيتنا المقدس ألفا سنة كانت الايام فيها تساورنا وتحاول محونا من لوح الوجود فعجزت بابنائها عن زلزال عقائد اسرائيل . وان قواعد ديننا واحكام شريعتنا تقضي علينا بان نستمسك بعروة وطننا القديم ونعتقد ان سيعود الينا مجدنا التليد ومكانتنا السامية . تمزق شعب اسرائيل كل ممزق وتفرق شعله فى الارض ولكن بلاد صهيون كانت معهد الارتباط بين أفراده فهى مأمن السرب ، وفرجة الكرب ، وبسببها بقينا حافظين للعهود ، محافظين على سنن الآباء والجدود ،

« ان أعاصير الظلم والاضطهاد ، وعواصف التعصب والعناد ، التي تعصف باليهود لتمسكهم بدينهم قد اضطرتنا الى العمل بما تكنه السرائر ، واظهار ما انطوت عليه الضمائر ، والخروج من مضيق الاستعداد ، الى فضاء الايجاد ، فالمشروع الصهيونى يطالبنا الآن بالمبادرة الى العمل ، والمسارعة الى اتخاذ الحيل ، ويحذرنا عاقبة الفتور والكسل ، حسبنا اننا مخرجون (منفيون) من كل مكان ، مبغضون من كل انسان ، يرمينا الشانئ بذلك الوصف الشائن الذي نبزنا من أجله بلقب (اليهودي التائه) على حبنا للاصلاح وخدمتنا الجليلة لكل بلاد تبوأناها واعلاء شأن المدنية فى كل مملكة استوطناها . اذاً لاعلاج لهذا الامتهان إلا الاتحاد والاعتصام لتأييد النهضة الملية التى تأسست فى النمسا من أفاضل شعبنا

لحفظ حقوقنا المقدسة . وقد اشرعنا الطريق للسير ومابقى علينا الا ان نسلكه

اخواننا : عليكم نعتمد فى نجاح المشروع الصهيونى فى ارض مصر فلنسلك مسالك اخواننا فى الاقطار البعيدة فقد مهدوا لنا السبيل ، فاذا عضدناهم فساعة الفوز آتية بعد زمن قليل ، ويناجينا الشعور بحاجة بعضنا الى بعض بان ستبادرون الى اجابة دعوتنا وحضور ليلتنا لسماع الخطب فى ملهى (منفراتو) الساعة ٩ من مساء السبت ١١ الشهر (الافرنكي) ونحن فى انتظاركم شاكرين لكم سلفاً محبة صهيون »

قسم جمعية بارخورشيا
الاسكندرية

ماذا عسانا نقول الآن فى تنبيه قومنا الى الاعتبار باتحاد اليهود وسعيهم لاسترجاع مجدهم بل لأن تكون لهم مملكة تقتدي بها جميع الممالك فيكونوا ائمة للعالمين ؟نعيد بعض ماقلناه فى العدد السادس من السنة الاولى عند ذكر خبر الجمعية ولم يكن احد يذكر عنهم انهم يطلبون الملك الا ما اشرنا اليه فى ذلك العدد من انفسنا . ذكرنا يومئذ خبر هذه الحركة الصهيونية عن مجلة المقتطف الغراء لفوائد بيناها هنالك نذكر منها هنا الفائدة الثالثة وهى :

(٣) إيقاظ قوم قد رزؤا بالخمول ، وكاد يعمهم الذهول ، واستلفاتهم (كذا) الى الروابط المحكمة بين اليهود مع تفرقهم فى الممالك وتشتتهم فى الاقطار وكيف يمدون سواعدهم لمساعدة اخوانهم ومعاضدة قومهم من وراء البحار وشعوف الجبال . ولم يصدهم تنائى الديار ، عن المواصلة فى الأفكار ، والتعاون بالدرهم والدينار ، الذى يحقق به كل أمل ، ويناط به

كل عمل ، فيأيها القائمون بالخمول أقنعوا رؤسكم (ارفعوها) وحدقوا ابصاركم وانظروا ماذا تفعل الشعوب والامم . اصيخوا لما تتحدث به العوالم عنكم . أترضون ان يسجّل فى جرائد جميع الدول ان فقرآء اضعف الشعوب الذين تلفظهم جميع الحكومات من بلادها هم من العلم والمعرفة بأساليب العمران وطرقه بحيث يقتدرون على امتلاك بلادكم واستعمارها وجعل أربابها أجرآء ، واغنيائها فقرآء ، . . . تفكروا فى هذه المسئلة واجعلوها موضوع محاورتكم لتتبينوا هل هي حقة أم باطلة ، صادقة ام كاذبة ، ثم اذا تبين لكم انكم مقصرون فى حقوق اوطانكم وخدمة أمتكم وملتكم فانظروا وتأملوا وتفكروا وتذاكروا وتحاوروا وتناظروا فى مثل هذا الأمر فهو أخلق بالنظر من اختلاق المعايب ، وانتحال المثالب ، والصاقها بالبرآء . واحرى بالمحاورة من التذقح والتجني على اخوانكم فان فى الخير شغلا عن الشر وفى الجد مندوحة عن الباطل « وما يتذكر الا من ينيب » اه

هذا ماقلناه من نحو اربع سنين فماذا نقول اليوم ؟ لا ينفع القول معها بالغ المنذر فى البيان ، وأدلى بالحجة والبرهان ، او يزول ذلك الوقر من المسامع وتزاح تلك الغشاوة عن الابصار وأعني بالوقر ما ملأ أسماع الناس وقلوبهم من أطرآء الأمرآء والحاكمين واقناع النفوس بأن سعادة الامة انما تفيض من سماء عظمتهم فما عليها الا الاتكال عليهم وتعظيمهم وبذل النفس والنفيس فى التقرب اليهم ، واعني بالغشاوة تلك التمويهات التى يغشّون بها الجمهور ليطمئن الى الاقوال ، ويغفل عن نتائج الافعال ، وليس من موضعنا بيان نتائج سياسة كل أمير من امراء المسلمين فجموعها ما نحن فيه فان لم يكونوا هم المبسلين للأمة والمضيعين لها بسلطتهم المطلقة فلا شك انهم لم

يحفظوها من الإبسال والهلكة . ولا نريد من مقالنا هذا ان تخرج الامة عليهم فان هذا يكون عوناً للاجانب على سرعة الإجهاز علينا ولكننا نريد ان لا تعتمد الامة عليهم بل تسعى بكل مافي طاقتها لتحصيل العلوم النافعة والثروة الواسعة والتربية الرافعة فمن كان من امرائهم محسناً كانت الامة عوناً له اذ هي قوام الملك وعماده ، وعدته وعتاده ، ومن كان مسيئاً جبروا نقص اساءته بإحسانهم حتى اذا صاروا أمة حقيقية لها رأى عام قوّموه أو قوّموا خلفه بتقييده بالشرع والشورى سالكين في ذلك الطرق الحكيمة التي لا تخشى مغبتها ، ولا تحذر عاقبتها ،

﴿ باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

نشير في هذا الباب ما يعرف به المسلمون اصل مدنيتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه « الامراء والحكام — بلاء الامة بهم »

(٢٢) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ان الله تعالى زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها وأُتي أعطيت الكنزين الاحمر والابيض. وانى سألت ربي تعالى لامتي ان لا يهلكوا بسنة عامة ولا يسلط عليهم عدوًّا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي عز وجل قال : يامحمد انى اذا قضيت قضاء فانه لا يرد وانى اعطيتك لامتك أن لا اهلكهم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم عدوًّا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم مَن بين اقطارها حتى يكون بعضهم يفني بعضاً . وانما اخاف على امتي الأئمة المضلين ، الحديث .

(٢٢) رواه احمد ومسلم وابوداود والترمذي وابن ماجه عن ثوبان